الباب الثاني

في بيان الشهادات التي وجدناها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة حول نجاة المسيح ﷺ

قد يخيل إلى القراء الكرام أن البراهين التي سنسجلها الآن في هذا الباب لا جدوى من ذكرها أمام المسيحيين، لأنهم لا يعترفون بكون القرآن الكريم والحديث الشريف حجة؛ ولكن هدفنا من ذكرها هنا هو أن نكشف للمسيحيين معجزة كتابنا القرآن الكريم ونبينا محمد ﷺ، حيث إن تلك الحقائق التي اكتشفت اليوم، بعد أن ظلت طي الكتمان طوال القرون السابقة، قد سبق أن بينها القرآن الكريم ونبينا ﷺ. وأسجل شيئ ا منها فيما يلي:

يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم... وما قتلوه يقينا*﴾.. أي الواقع أن اليهود لم يتمكنوا من قتل المسيح، و لم يهلكوه على الصليب، وإنما اشتبه الأمر عليهم، فظنوا أنه قد مات على الصليب؛ ولكنهم لا يملكون من الأدلة والبراهين ما تطمئن به قلوبهم بأن نفسه ﷺ قد خرجت على الصليب يقينا.

ولقد صرح الله في هذه الآية بأن المسيح قد علق فعلا على

---

* سورة *النساء : ١٥٨ . (المترجم)*

الصليب وأريد قتله دون شك، ولكن اليهود والنصارى منخدعون في ظنهم أنه قد مات على الصليب حقا، إذ الواقع أن الله تعالى قد هيأ أسبابا أدت إلى نجاته من الموت على الصليب.

فمن مقتضى العدل إذا أن نقر بأن ما أعلنه القرآن الحكيم، مناقضا آراء اليهود والنصارى، قد ثبت صدقه في نهاية المطاف؛ إذ أكدت البحوث الدقيقة المعاصرة على أن المسيح عليه السلام قد نجي فعلا من الموت على الصليب. ويكشف الاطلاع على الكتب التاريخية أن اليهود عجزوا دوما عن تقديم رد مقنع إذا ما سئلوا: كيف مات المسيح على الصليب في ساعتين أو ثلاث ساعات فقط وبدون أن تكسر عظامه؟ فلذلك اختلق بعض من اليهود رأيا آخر فزعموا أنهم قتلوا المسيح بالسيف؛ مع أن التاريخ اليهودي القديم لا يدعم هذا الرأي أبدا.

ومن عجائب قدرة الله أنه جمع لإنقاذ المسيح عدة عوامل في وقت واحد، حيث اشتد الظلام لدى تعليقه على الصليب، وحدث زلزال، ورأت زوجة بيلاطس الرؤيا، واقترب حلول ليلة السبت العظيم الذي كان حراما أن يتركوا فيه أحدا على الصليب، ومال قلب الحاكم إلى إنقاذ المسيح بسبب تلك الرؤيا المنذرة؛ كما جعل الله المسيح كالمغشي عليه من الموت لكي يبدو للجميع كالأموات، وبث في نفوس اليهود الرعب بإظهار الآيات المهولة كالزلزال وغيره فخافوا أن ينزل عليهم العذاب؛ بالإضافة إلى تخوفهم من بقاء الجثث على الصليب ليلة السبت؛ ثم إن اليهود حين رأوا المسيح في حالة الإغماء حسبوه ميتا؛ كما أن شدة الظلام والزلزال والفزع كل هذه الأمور دفعتهم لأن يهتموا ببيوتهم ويقلقوا على أهلهم وعيالهم؛ كما أخذ الذعر يطغى على قلوبهم، لأنهم تساءلوا أن هذا الرجل إذا كان كافرا كاذبا، كما ظنوه، فلماذا ظهرت تلك

العلامات المهيبة عند تعذيبهم له، وبشكل لم يسبق له نظير، فلم يستطيعوا من شدّة فزعهم أن يتبيّنوا ما إذا كان المسيح قد مات في الواقع أم لا.

والحق أن جميع هذه الأمور كانت تدابير إلهية لإنقاذ المسيح؛ وإلى ذلك تُشير الآية الكريمة ﴿ولكن شبِّهَ لهم﴾.. أي أن اليهود لم يتمكّنوا من قتل المسيح، ولكن الله تعالى شبَّه عليهم الأمرَ، فظنّوا أنهم قد قتلوه؛ الأمر الذي يتقوّى به أملُ أولياء الله في فضله بأنه قادر على إنقاذ عباده بأية طريقة شاء.

وهناك آية أخرى في القرآن الكريم في شأن المسيح عليه السلام هي قوله تعالى: ﴿وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين*﴾.. أي أن المسيح سينال الشرفَ والوجاهة العظيمة في أعين الناس في حياته، وكذلك في الآخرة. ومن الواضح أن المسيح لم يَنل أيّ كرامة أو شرف في مُلك هيرودُس وبيلاطس، بل قد أُهين غاية الإهانة. وأما الظن بأنه سيعود إلى هذه الدنيا ثانيةً ليُحرز العزّ والمجد فما هو إلا وَهْمٌ لا أساس له، كما هو مخالفٌ لمقصد الكتب الإلهية؛ وليس ذلك فحسب، بل يُنافي أيضًا سننَ الله الطبيعية القديمة منافاةً شديدة؛ كما أنه زعمٌ لا يدعمه دليل.

وأما الأمر الواقع الحق فهو أن المسيح عليه السلام بعد النجاة من أيدي أشقياء اليهود شرّف أرضَ "بنجاب" بمجيئه إليها، ووهب له اللهُ في هذا البلد إكرامًا عظيمًا، وأعثره على القبائل الإسرائيلية العشر الضالة هناك. ويبدو أن معظم بني إسرائيل بعد هجرتهم إلى هذه البلاد دخلوا في البوذية، ووقع بعضهم في أَحَطِّ أنواع الوثنية؛ غير

---

* سورة *آل عمران*: ٤٦ . *(المترجم)*

أن أكثرهم رجعوا إلى الصراط المستقيم بعد مجيء المسيح إلى هذه البلاد. وبما أن تعاليم المسيح عليه السلام كانت تتضمّن الوصية بالإيمان بالنبي المقبل (ﷺ)، لذا فأَسلمتْ في نهاية المطاف جميعُ هذه القبائل التي دُعيت في هذه البلاد بالأفغان والكشميريين.

وبالجملة فإن المسيح عليه السلام قد نال في هذه البلاد وجاهة عظيمة. وقد اكتُشفت أخيرًا في منطقة "بنجاب" هذه قطعةٌ نقدية من بين الآثار، وقد نُحت عليها اسم المسيح باللغة البالية، وترجع هذه القطعة النقدية إلى عصر المسيح نفسه. ويتبيّن من ذلك بكلّ تأكيد أن المسيح قد نال في هذه البلاد عزة كعزة الملوك. وقد صدرت هذه القطعة النقدية، على الأغلب، من قِبل مَلِكٍ آمَنَ بالمسيح عليه السلام. وكذلك فقد اكتُشفت قطعة نقدية أخرى عليها صورة رجل إسرائيلي، ويتبيّن من القرائن أنها أيضًا صورة المسيح عليه السلام.

وورد في القرآن الكريم أيضًا أن الله تعالى قد جعل في المسيح من البركات بحيث إنه سيكون مباركًا حيثما حلّ. وإن القِطع النقدية المشار إليها آنفًا تدلّ على أن الله قد بارك المسيحَ بركة عظيمة، وما توفّاه حتى نال عزةً كعزة الملوك.

ونجد في القرآن الكريم آية أخرى هي: ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾..* أي يا عيسى سأبرِّئك من تُهَم الأعداء حتمًا، وسأبرهن على طهارتك، وسأزيل عنك التهمَ التي رماك بها اليهود والنصارى. وكان هذا نبأً عظيمًا ملخّصه أن اليهود اتّهموا المسيحَ بأن قلبه قد تخلّى عن حب الله تعالى بعد أن صار مصلوبًا ملعونًا؛ وكما هو مفهوم اللعنة فإن قلبه تمرَّد على الله وتبرَّأ منه، ووقع في طوفان عارم من الضلال، ومال بشدّة نحو السيئات، وكره جميعَ الحسنات، قاطعًا

* سورة *آل عمران*: ٥٦. *(المترجم)*

صلته بالله وخاضعا لسلطة الشيطان؛ ووقعت بينه وبين الله عداوة متأصلة. وإن تهمة اللعنة ذاتها قد وجهها النصارى أيضا إلى المسيح، ولكنهم جمعوا الضدين في شخصه جهلا منهم، فزعموا من جهة أن المسيح ابن الله، ومن جهة أخرى اعتبروه ملعونا أيضا؛ مع أنهم يقرون بأنفسهم بأن الملعون هو ابن الظلام وسليل الشيطان، أو هو الشيطان نفسه.

إذن فكان المسيح عليه السلام هدفا لهذه التهم الشنيعة النكراء، وكان نبأ ﴿ومطهرك﴾ يتضمن الإشارة إلى أنه سيأتي زمان يبرئ الله فيه ساحة المسيح من هذه التهم، وذلك الزمان هو عصرنا هذا. ذلك أنه مما لا شك فيه أن تطهير المسيح عليه السلام كان قد تم بشهادة نبينا ﷺ بكل وضوح وجلاء عند أولي الألباب، حيث شهد هو ﷺ والقرآن الكريم بأن التهم التي قذف بها المسيح باطلة كلها؛ ولكن هذه الشهادة كانت شهادة نظرية ودقيقة بالنسبة لعامة الناس، ولذلك فقد اقتضى عدل الله تعالى أن يصبح تطهير المسيح وبراءته كالأمور المشهودة المحسوسة، مثلما كان تعليق المسيح على الصليب أمرا مشهورا بديهيا مشهودا محسوسا. وهكذا حدث بالفعل، أعني لم يعد التطهير أمرا نظريا فقط، بل تم بشكل محسوس أيضا، حيث رأى ملايين الناس بعيون جسمانية قبر المسيح في "سر ينغر" بكشمير. فكما أن المسيح عليه السلام قد علق على الصليب في موضع اسمه "جلجثة" أي "موضع الجمجمة"، فكذلك قد وجد قبره في موضع اسمه "موضع الجمجمة" أي "سرينغر".✸ والغريب أن الكلمة الأساسية

✸ *علما أن كلمة "سرينغر" مركبة من كلمتين هنديتين هما "سري" (أي الجمجمة) و"نغر" (أي الموضع أو القرية)، وهكذا يصبح معناها: موضع الجمجمة، والمكان الذي علق فيه المسيح على الصليب كان هو الآخر يسمى "موضع الجمجمة"، حيث ورد في الأناجيل: "فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي* ⇦

"الجمجمة" موجودة في كلا الاسمين.. أعني أن المكان الذي عُلِّق فيه المسيح عليه السلام على الصليب اسمه "جلجثة" أي "الجُمجمة"، والموضع الذي اكتُشف فيه قبر المسيح في أواخر القرن التاسع عشر يُدعى أيضًا "جلجت" أي "الجُمجمة". ويبدو أن "جلجت" الواقعة بمنطقة كشمير إشَارَةٌ في الواقع إلى "الجمجمة". وقد أُسِّسَت هذه المدينة الكشميرية غالبًا في عصر المسيح عليه السلام، وسُمِّيت "جلجت" كتذكارٍ محلّيٍّ لحادث الصليب؛ شأنها شأن مدينة "لهاسة" -وهَي كلمةً عبرية ومعناها "مدينة الإله"- التي عمرت أيضا في عهد المسيح عليه السلام.

ولقد ثبت من الأحاديث الصحيحة أن نبينا ﷺ قال: إن المسيح عاش مائة وخمسة وعشرين عاما.✸ كما تعتقد جميع الفرق

⇔ *يقال له موضع الجمجمة، ويقال له بالعبرانية جلجثة، حيث صلبوه" (يوحنا الإصحاح ١٩ رقم ١٧)، وورد أيضا: "وجاءوا به إلى موضع "جلجثة" الذي تفسيره موضع جمجمة" (مرقس الإصحاح ١٥ رقم ٢٢)، وأيضا: "ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى "جمجمة" صلبوه هناك" (لوقا الإصحاح ٢٣ رقم ٣٣)، وانظر أيضا: متى الإصحاح ٢٧ رقم ٣٣. (المترجم)*

✸ *لقد وردت في الحديث روايتان في صدد عمر عيسى بن مريم عليهما السلام: إحداهما تذكر عمره مائة وعشرين عاما (راجع الهامش على الصفحة رقم ١٤ من هذا الكتاب). وأما الرواية الثانية فقد وردت في الطبقات الكبرى لابن سعد (المجلد الثاني، ذكر عرض رسول الله ﷺ القرآن على جبريل واعتكافه في السنة التي قبض فيها) وتذكر عمره عليه السلام مائة وخمسة وعشرين عاما، ونصها كالآتي: "عن يزيد بن زياد قال: قال رسول الله ﷺ في السنة التي قبض فيها لعائشة: إن جبريل كان يعرض علي القرآن في كل سنة مرة، فقد عرض علي العام مرتين، وإنه لم يكن نبي إلا عاش نصف عمر أخيه الذي كان قبله. عاش عيسى بن مريم مائة وخمسا وعشرين سنة. وهذه اثنتان وستون سنة. ومات في نصف السنة". (المترجم)*

الإسلامية بأن المسيح وحده قد جمع في ذاته أمرين لم يجتمعا في نبي من الأنبياء، أولهما: أنه نال عمرا مكتملا أي عاش مائة وخمسة وعشرين عاما؛ وثانيهما أنه قام بسياحة أكثر بلدان الدنيا، ولذلك سمي بـ "النبي السياح". والبديهي أن المسيح لو كان قد رفع إلى السماء وعمره ثلاثة وثلاثون عاما، فلن تصح إذا رواية "مائة وخمسة وعشرين عاما"، كما لم يكن باستطاعته أن يقوم بهذه السياحة الطويلة في حياة قصيرة: ثلاثة وثلاثين عاما.

وهذه الروايات لم ترد في كتب الحديث القديمة الموثوق بها فحسب، بل هي شهيرة بين جميع فرق الإسلام على شكل التواتر الذي لا يتصور أكثر منه. فقد ورد في "كنز العمال" - وهو كتاب جامع للأحاديث النبوية - عن أبي هريرة: "أوحى الله تعالى إلى عيسى أن يا عيسى انتقل من مكان إلى مكان، لئلا تعرف فتؤذى". (المجلد الثاني ص ٣٤)[1] .. أي سافر من بلد لآخر لكي لا يعرفك أحد فيؤذيك.

كما وردت في الكتاب نفسه رواية عن جابر: "كان عيسى بن مريم يسيح، فإذا أمسى أكل بقل الصحراء، وشرب[2] الماء القراح". (المجلد الثاني ص ٧١).

---

[1] *كنز العمال، الكتاب الثالث من حرف الهمزة، الباب الأول في الأخلاق والأفعال المحمودة، فصل خوف العاقبة، رقم الحديث ٥٩٥٥. (المترجم)*

[2] *ورد في الأصل سهوا "يشرب"، والصحيح الوارد في نص الحديث هو "شرب". (كنز العمال، الكتاب الثالث من حرف الهمزة، الباب الأول في الأخلاق والأفعال المحمودة، فصل الصبر على أنواع البلايا والمكاره، رقم الحديث ٦٨٥٢. (المترجم)*

ووردت في الكتاب نفسه رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ ونصها: "قال: أحب شيء إلى الله الغرباء. قيل: أي شيء الغرباء؟ قال: الذين يفرون بدينهم، ويجتمعون إلى عيسى بن مريم". (المجلد السادس صفحة ٥١)*.. أي الذين يفرون بدينهم من بلادهم كما فعل عيسى بن مريم.

---

* *مع الإشارة إلى أن هذا الحديث قد ورد في نسخ مختلفة بكلمات مختلفة، ولقد ورد النص المشار إليه أعلاه في الصفحة ٥١ من الجزء السادس لكنز العمال (كتاب الفتن من قسم الأفعال، فصل في الوصية في الفتن) المطبوع من قبل دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، بالهند عام ١٣١٣ الهجري، غير أنه لم يرد في نص الحديث "ويجتمعون"، وإنما ورد فيه "يجتمعون". (المترجم)*